

تقرير

شوقي عشقوتي

قائد "طوفان الأقصى" دخل التاريخ وخرج من الجغرافيا
غزة وحماس بعد يحيى السنوار

7 تشرين الاول 2023 كان قائدا لعملية طوفان الأقصى. 17 تشرين الاول 2024 قتل قائدا لحماس في غزة. يحيى السنوار دخل التاريخ من بابه الواسع العام الماضي بعدما نال من هيبة اسرائيل وجيشها، واعاد الى القضية الفلسطينية بريقها واعتبارها، وخرج من الجغرافيا والحياة الشهر الماضي بعدما اغلقت اسرائيل حسابها معه. رحيل السنوار حدث مفصلي ونقطة تحول في مسار الحرب وفي مسيرة حماس

اغتيال يحيى السنوار لم يحمل مفاجأة، والامر كان متوقعا في كل لحظة. فالرجل الذي تحدى اسرائيل وقض مضاجعها وصار كابوسها، بات على رأس لائحة الاهداف وطاردته اسرائيل طوال عام الى ان تمكنت منه بالصدفة. صار مشروع شهيد، وحيا ميتا، منذ ان اتخذ القرار الجريء والانتحاري بقلب المشهد رأسا على عقب، وكتابة فصل دموي جديد من فصول الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي الذي لا ينتهي.

ربما يكمن عنصر المفاجأة في الطريقة التي قتل بها السنوار والظروف التي احاطت نهايته الدراماتيكية. فهو لم يمّ مختبئا تحت الارض في نفق، وانما مشتبكا مع الجيش الاسرائيلي في منزل فوق الارض. لم يكن محاطا بالرهائن الاسرائيليين متخذا منهم دروعا بشرية، وانما كان منزرا بجعبة قتال ومحاط برفاق درب. لقد خالف السنوار كل التوقعات والتقديرية لدى الجيش الاسرائيلي الذي جند كل طاقاته وجهوده الامنية والاستخباراتية للوصول اليه، ووصل اليه اخيرا عن طريق الصدفة. ما حدث



لم يكن مخططا ولم يكن نتاج عملية منظمة ومعدة باحكام وقعت السنوار في المصيدة. ربما يكمن عنصر المفاجأة ايضا في التوقيت الذي لم يكن مناسبا لرئيس وزراء اسرائيل بنيامين نتنياهو، بعدما كان وضع حرب غزة جانبا وتحول للتركيز على حرب لبنان، وللاعداد لرد استثنائي على ايران. لم يكن نتنياهو يرغب في هذه المرحلة في اعادة فتح ملف الرهائن، والعودة الى مفاوضات وقف النار والضغط الامريكى.

بقدر ما شكل اغتيال السنوار بالنسبة الى نتنياهو مفاجأة سارة في غير وقتها، ودايمه هذا الحدث واربك حساباته، فانه حمل هدية ثمينة للرئيس الاميركي جو بايدن ونائبته المرشحة للرئاسة كامالا هاريس عشية الانتخابات الامريكى الحاسمة. فقد فتح هذا التطور نافذة حل واعطى فرصة جديدة لتهدئة الحرب وانهاء ازمة الرهائن. في الواقع، لم تتمالك ادارة بايدن اعصابها ولم تكن انفعالاتها في التعبير عن سرورها وارتياحها الى مقتل السنوار، وفي التصرف كأن اغتيال السنوار اعلن بداية نهاية الحرب في غزة. ما كاد مقتل السنوار يعلن، حتى

الضغط او عن طريق اغراءات لتسليمهم، وقد بدأ مقربون منه يسربون مواقف تقول ان هذا هو الوقت للقضاء على حماس، ويجب ان نقول لحماس الان اما ان تستسلموا واما يكون مصيركم مثل زعيمكم السنوار، وسلمونا المخطوفين وتتعهد بالافراج عنكم.

اغتيال السنوار يزيد في نشوة النصر لدى نتنياهو بعد سلسلة ضربات وانجازات بدأت من طهران باغتيال رئيس حماس اسماعيل هنية وانتهت في غزة باغتيال خليفته يحيى السنوار، مروراً بالضاحية الجنوبية التي شهدت اعنف الاغتيالات واضخمها، وطالت القيادات العليا لحزب الله. لم يتأخر نتنياهو في التباهي بهذا الانجاز الجديد الذي يعزز من رصيده السياسي والشعبي في



اسرائيل التي خرج سكانها الى الشارع للاحتفال بقتل السنوار، بعدما كانوا يخرجون قبل فترة قصيرة وابان الحرب لاطلاق صيحات الاستهجان ضد نتنياهو.

في الواقع، يشكل اغتيال السنوار انجازا ونجاحا جديدا لتنتياهو الذي كان تعهد بمطاردة كل من له علاقة بعملية طوفان الأقصى، وبالقضاء على حماس وقادتها. فالسنوار العقل المدبر لهذه العملية والرقم واحد على اللائحة، قض مضاجع الاسرائيليين الذين يشعرون الان انهم تخلصوا من كابوس وتنفسوا الصعداء. في المقابل، يوجه مقتل السنوار ضربة قوية لحماس، وربما تكون الضربة الاقوى منذ قيامها، لأن السنوار ليس مجرد قيادي وانما بات، وخصوصا بعد طوفان الأقصى، "القائد الرمزي" لحماس وحتى بالنسبة الى شريحة فلسطينية واسعة. الانظار تتجه الى مرحلة ما بعد السنوار، ومقتله يطرح سؤالين مباشرين: ماذا عن حركة حماس ومستقبلها بعد اغتيال قيادتها (السنوار وقبله هنية)، ومن سيكون رئيسها الجديد؟!



لتقتصر على اثنين: خالد مشعل (رئيس حماس في الخارج، وقد تولى زعامتها لسنوات طويلة) وخليل الحية (نائب رئيس حماس في غزة، وكان مكلفا من السنوار بادارة ملف المفاوضات حول الرهائن).

هناك فارق سياسي بين مشعل المحسوب على تركيا وقطر، والحية المحسوب على ايران واخذ دور صالح العاروري (الذي اغتيل في الضاحية الجنوبية لبيروت) في ملف العلاقة مع ايران وحزب الله.

النتيجة ان الحركة تلقت ضربة قوية وتقف امام مرحلة جديدة، والارجح ان تجري مراجعة شاملة لسياستها، وسيعود قرارها الى الخارج وهذا سيغير الكثير. وستضطر الحركة الى تقديم تنازلات كانت صعبة في وجود السنوار، في ما يخص مباشرة الحرب والاسرى وحتى العلاقة مع السلطة الفلسطينية.

مع انتقال مركز القرار الى حماس الخارج، وبعد تفكك وانهايار الجناح العسكري لحماس في غزة (كناثب القسم)، تجد حماس نفسها امام حتمية ادخال تعديلات جذرية على خياراتها وادائها وسلوكها في اتجاه تغليب العمل السياسي على العسكري، وفتح افاق مستقبلية استنادا الى شعبية حصدها على الرغم من كل الدمار والخراب الذي لحق بغزة، تمكثها من الفوز في اي انتخابات تجري في المناطق الفلسطينية. هذا التحول لن يكون متاحا ومثمرا الا من خلال منظمة التحرير الفلسطينية والانضواء تحت رايتها، والقبول بمبادئها وقواعد اللعبة فيها وبهدفها المركزي القاضي بالوصول الى دولة فلسطينية مستقلة وعاصمتها القدس.

هذا ما يضع حماس في صلب مفاوضات التسوية الشاملة وتحت مظلة الحركة الدولية النشطة تحت عنوان "حل الدولتين". وهذا التحول من المقاومة العسكرية الى المقاومة السياسية، لا بد من ان يمر في مرحله الاولى عن طريق رام الله والسلطة الفلسطينية، وان يكون من مقدماته حوار صريح ومععمق بين فتح وحماس شهدنا فصولا منه خلال فترة الحرب في موسكو وبكين، وستجري جولاته الجديدة في القريب العاجل في القاهرة. الفلسطينيون يدركون الان ان ساعة الحقيقة والوحدة والخيارات الحاسمة قد دقت، والاسرائيليون الذين يريدون غزة من دون حماس سيدركون عاجلا ام اجلا ان لا معادلة فلسطينية ولا تسويات من دون حماس.